أقوال أئمّة أهل السُّنَّة في:

حكم مَن توسل بالأنبياء، والصالحين الموتَى والغائبين، بدعائهم والطلب منهم أن يَدْعوا الله له، ليعطيَه ما يسأله مِن جلْب النفع أو دفع الضُّرّ.

جمع وتعليق:

د. عبد الله بن عبد الرحمن المنصور الجربوع

بسم الله الرحمن الرحيم

ردّ شبهة:

قول كثير مِن المشركين: نحن نعتقد تفرّد الله في الملك والخلْق والتّدبير، وإنّه وحده المُعطي لما نريد مِن الخير، والدّافع لما نُحاذره مِن الشّرّ؛ إلّا أنّنا نقصد الملائكة، والنبيّ محمداً ﷺ، والصَّالحين مِن الجنِّ والإنس، نستشفع ونتوسّل ونتقرّب بهم إلى الله ﷻ، فيقبل دعاءنا بشفاعتهم؛ فهم واسطة بيننا وبين الله ﷻ.

ويقيسون فِعْلهم ذلك بتوجّه النّاس أصحاب الحاجات إلى الوزراء والوُجهاء وأقرباء الملوك، ليتوسّطوا لهم ويشفعوا لهم إلى الملوك في قضاء حوائجهم. ومنهم مَن يُعلِّل ذلك بقوله: نحن مذنبون، وفي حال لا تليق أن نتّصل بالله ونحن مُتلبِّسون بها، فنتوسّل بأولياء الله الأتقياء الأنقياء، ليشفعوا لنا، فندعوهم في تفريج الكربات وقضاء الحاجات التي لا يستطيعها إلّا الله ﷻ، وهم يدعون الله لنا، فيغفر لنا، ويقضي حاجاتنا بواسطتهم.

أقوال أئمّة الإسلام في بيان صورة هذا الفِعْل، وبراءة دين الإسلام مِنه:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فهذا هو القسم الثّاني وهو: أن لا تطلب منه الفعل، ولا تدْعوه؛ ولكن تطلب أن يدعو لك، كما تقول للحيّ: "ادعُ لي"، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون مِن النّبيِّ صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم الدعاء؛ فهذا مشروع في الحيِّ، كما تقدّم، وأمَّا الميِّت مِن الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يُشرع لنا أن نقول: "ادْعُ لنا"، ولا "اسأَلْ لنا ربَّك"، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمَر به أحَد مِن الأئمّة، ولا ورَد فيه حديث"[١].

وقال رحمه الله:

"وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِمِثْلِ هَذَا، وَلَا رُسُلُهُ أَمَرُوا بِذَلِكَ؛ بَلْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)[٢] (الشرح: ٧، ٨)؛ وَلَمْ يَقُلْ: "ارْغَبْ إلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ".

وَقَالَ تَعَالَى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)[٣] (الإسراء: ٥٦، ٥٧).

قَالَتْ طَائِفَةٌ مِن السَّلَفِ: كَانَ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ الْعُزَيْرَ، وَالْمَسِيحَ، وَالْمَلَائِكَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: "إذَا نَزَلَ بِكَ حَادِثٌ فَاسْتَوْحِنِي"؛ بَلْ قَالَ لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ يُوصِيهِ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَك. تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ. إذَا سَأَلْتَ

---

(١) زيارة القبور لابن تيمية (ص ٢٤).

٢- سورة .

٣- سورة .

فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ»"[٤].

– **وقال أيضاً رحمه الله، مُبيِّناً حقيقة هذه الشّبهة وحُكمَها:**

"فمَن جعَل الملائكة والأنبياء وسائطَ يَدعوهم ويتوكّل عليهم، ويَسألهم جلْبَ النَّفع ودفْع المضارّ، مثْل: أنْ يَسألهم غفران الذُّنوب، وهداية القلوب، وتفريجَ الكروب، وسدَّ الفاقات، **فهو كافِر بإجماع المسلمين**"[٥].

– **وقال أيضاً رحمه الله:** "وإن أثبتُّم وسائطَ بَيْن الله وبيْن خلْقه كالحُجَّاب الَّذِينَ بَيْن الملِك ورعِيَّتِه، بحيث يكونون هُم يَرْفَعون إلى الله حوائجَ خَلْقه، فالله إنما يَهدي عبادَه ويَرزُقهم بِتوسُّطِهم، فالخَلْق يَسألونَهم وهُم يسألونَ الله كما أنّ الوسائطَ عند الملوك يَسألون الملوك الحوائجَ لِلنَّاس لِقُرْبهم منهم، والناس يسألونهم أدَباً منهم أنْ يُباشروا سؤال المَلِك، أو لأنَّ طلبَهم مِن الوسائط أنْفَعُ لهم مِن طلبِهم مِن المَلِك لِكَوْنِهم أقربَ إلى المَلِك مِن الطالِب لِلحوائج؛ **فمَن أَثْبَتَهم على هذا الوجْه فهو كافِرٌ مُشرك، يَجب أن يُستتاب، فإنْ تاب وإلا قُتل**"[٦]. @

۞ أقوال أئمّة الإسلام في بيان أنّ هذا الفعل هو حقيقة شرْك مُشركي قريش وبعض العرب الذين بُعث فيهم النبيّ ﷺ، ومَن قبلهم مِن الأمم.

– **قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– مبيِّناً صورة هذا النّوع مِن الشّرك (شرك الوسائط والوسائل والشّفاعة)، وأنّه حقيقة شرْك مُشركي قريش وبعض العرب الذين بُعث فيهم النبيّ ﷺ، ومَن قبلهم مِن الأمم:**

عند تفسير قوله تعالى: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٧]

---

(٤) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٣٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

(٦) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

[٧] – سورة .

(المؤمنون: ٨٤)، فقال رحمه الله:

"(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)؛ **يُقَرِّر تَعَالَى وَحْدَانِيّته وَاسْتِقْلَاله بِالْخَلْقِ وَالتَّصَرُّف وَالْمُلْك، لِيُرْشِد إِلَى أَنَّهُ اللَّه الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَة إِلَّا لَهُ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ**؛ وَلِهَذَا قَالَ لِرَسُولِهِ مُحَمَّد ﷺ أَنْ يَقُول لِلْمُشْرِكِينَ الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْره، الْمُعْتَرِفِينَ بِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيك لَهُ فِيهَا، مَعَ هَذَا فَقَدْ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الْإِلَهِيَّة، فَعَبَدُوا غَيْره مَعَهُ مَعَ اِعْتِرَافهمْ أَنَّ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَبِدُّونَ بِشَيْءٍ؛ بَل اِعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى: (مَا نَعْبُدهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى)"(٨).

- وقال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)(٩) (الزمر: ٣)، مُبيِّناً: أنّ هذه الشبهة والمكيدة هي التّي اصطاد بها الشيطان كثيراً مِن الأمم السّابقة، فأوقعهم في الشِّرك والضّلال:

"وَقَالَ قَتَادَة فِي قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ): شَهَادَة أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه. ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عُبَّاد الْأَصْنَام مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: (مَا نَعْبُدهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى)، أَيْ: إِنَّمَا يَحْمِلهُمْ عَلَى عِبَادَتهمْ لَهُمْ: أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَام اِتَّخَذُوهَا عَلَى صُوَر الْمَلَائِكَة الْمُقَرَّبِينَ فِي زَعْمِهِمْ، فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَر تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَة عِبَادَتهمُ الْمَلَائِكَة، **لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْد اللَّه تَعَالَى**، فِي نَصْرهمْ وَرِزْقهمْ وَمَا يَنُوبهُمْ مِنْ أُمُور الدُّنْيَا، فَأَمَّا الْمَعَاد فَكَانُوا جَاحِدِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ.

قَالَ قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَمَالِك، عَنْ زَيْد بْن أَسْلَم وَابْن زَيْد: (إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)

(٨) تفسير ابن كثير (١٠/ ١٤٠).

٩ - سورة .

أَيْ: **لِيَشْفَعُوا لَنَا وَيُقَرِّبُونَا عِنْده مَنْزِلَة**؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتهمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتهمْ: "لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَك، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَك، تَمْلِكهُ وَمَا مَلَكَ".

وَهَذِهِ الشُّبْهَة هِيَ الَّتِي اِعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ فِي قَدِيم الدَّهْر وَحَدِيثه، وَجَاءَتْهُمْ الرُّسُل صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بِرَدِّهَا وَالنَّهْي عَنْهَا، وَالدَّعْوَة إِلَى إِفْرَاد الْعِبَادَة لِلَّهِ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ اِخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْد أَنْفُسهمْ، لَمْ يَأْذَن اللَّه فِيهِ، وَلَا رَضِيَ بِهِ؛ بَلْ أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلّ أُمَّة رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّه وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت)[10] (النحل: ٣٦)، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُول إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَه إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[11] (الأنبياء: ٢٥). وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَائِكَة الَّتِي فِي السَّمَاوَات مِنْ الْمَلَائِكَة الْمُقَرَّبِينَ وَغَيْرهمْ كُلّهمْ عَبِيد خَاضِعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ عِنْده إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنْ اِرْتَضَى وَلَيْسُوا عِنْده كَالْأُمَرَاءِ عِنْد مُلُوكهمْ يَشْفَعُونَ عِنْدهمْ بِغَيْرِ إِذْنهمْ فِيمَا أَحَبَّهُ الْمُلُوك وَأَبَوْهُ (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَال)[12] تَعَالَى اللَّه عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا"[13].

✪ بيان علماء الإسلام: أنّ دعاء غير الله مِن الأنبياء والصالحين، والتوسّل بهم: مِن الغلوّ في الصالحين:

- وبيّن المفسّرون أنّ دعاء غير الله مستشفعاً به إلى الله ﷻ، لحصول ما يرجوه من الخير ودفْع ما يُحاذره من الشر، هو مِن الغلوّ في الصالحين الذي أوقع الأمم السابقة في الشِّرك.

قال تعالى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

١٠- سورة .

١١- سورة .

١٢- سورة .

(١٣) تفسير ابن كثير (١٢/ ١١١).

وَنَسْرًا)[١٤] (نوح: ٢٣).

أَوْرَد ابن جرير الطبري -رحمه الله بسنده إلى محمد بن قيس، أنه قال عند قوله تعالى: (وَيَعُوقَ وَنَسْرًا): "كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: "لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم"، فصوّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون، دبّ إليهم إبليس، فقال: "إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقَوْن المطر"، فعَبدوهم"[١٥].

قول إبليس: "إنما كانوا يعبدونهم" أي: يدْعونهم مُتوسِّلين بهم إلى الله، بدليل قوله بعد ذلك: "وبهم يُسقَوْن المطر"، فجعلوهم واسطة بينهم وبين الله، لحصول ما يَرجون من الخير، كإنزال المطر؛ فيحصل لهم ذلك بزعمه.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا الْمُشْرِكُونَ لِلْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، حَتَّى صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ وَقَالُوا: "اسْتِشْفَاعُنَا بِتَمَاثِيلِهِمْ اسْتِشْفَاعٌ بِهِمْ"، وَكَذَلِكَ قَصَدُوا قُبُورَهُمْ وَقَالُوا: "نَحْنُ نَسْتَشْفِعُ بِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ لِيَشْفَعُوا لَنَا إلَى اللَّهِ"، وَصَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ فَعَبَدُوهُمْ كَذَلِكَ. وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ أَبْطَلَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَذَمَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهَا وَكَفَّرَهُمْ بِهَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا)[١٦] (نوح: ٢٣، ٢٤). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: "هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحُونَ كَانُوا فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ فَعَبَدُوهُمْ". وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ"[١٧].

والشفاعة ثابتة للملائكة والأنبياء والصّالحين عندما يأذن الله لهم يوم القيامة، أمّا في الدنيا فلم يَرِد أنّ الله أذِن لأحد أن يشفع عنده، وزعْمُ مَن زعَم أنّ الرّسول ﷺ أو

١٤- سورة .

(١٥) تفسير الطبري- أحمد شاكر (٢٣/ ٦٣٩).

١٦- سورة .

(١٧) مجموع الفتاوى (١/ ١٥١).

غيره يُدْعوْن ويُستشفَع بهم إلى الله ﷻ باطل؛ إذ لم يَرِدْ في كتاب الله ولا في سُنّة رسوله ﷺ أنه أذِن لأحد أن يشفع عنده في الدنيا، إلّا دُعاء الحيِّ للحَيِّ.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"ومن ذلك: أنّ أولئك المشركين كانوا يجعلون ما يُشركون به شفعاء يشفعون لهم الى الله، والله يَقبل شفاعتهم، وهو سؤالهم ودعاؤهم بقدرته ومشيئته، كما ذكر الله ذلك في مواضع من كتابه؛ فقال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[١٨] (يونس: ١٨).

ولهذا نفَى الله شفاعة أحد إلّا بإذنه، في غير موضع مِن القرآن، بقوله: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[١٩] (البقرة: ٢٥٥)، وقوله: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)[٢٠] (الأنعام: ٥١)، وقال: (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ) أي: تُحبس وتؤخذ وتُرتَهن (نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ)[٢١] (الأنعام: ٧٠)، وقال: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)[٢٢] (السجدة: ٤)، وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

---

١٨ – سورة .

١٩ – سورة .

٢٠ – سورة .

٢١ – سورة .

٢٢ – سورة .

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)[٢٣] (الأنبياء: ٢٦- ٢٩)، وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)[٢٤] (سبأ: ٢٢، ٢٣)، وقال تعالى: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى)[٢٥] (النجم: ٢٦).

فهذه الشَّفاعة التي نفاها القرآن **تتضمّن نفْيَ ما كان يقوله مُشركو العرب وأمثالهم مِن المشركين؛ وهي مِن جنس شِرك النّصارى ونحوهم مِن الضُّلّال المنتسبين إلى الاسلام؛ حيث يعتقدون في الملائكة أو الأنبياء أو الشيوخ، أنَّهم شفعاء لهم عند الله** كما يشفع الشّفعاء إلى ملوك الدنيا، ويَضربون لله مثلًا، فيقولون: مَن أراد أن يتقرَّب الى مَلِك عظيم، فلا يَنبغي له أن يأتي إليه أوّلًا، بل يتقرَّب إلى خاصَّته، وهم يَرفعون حوائجه ويُقرِّبونه إليه؛ قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[٢٦] (الزمر: ٣)؛ أي: يقولون: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى). ذكر سبحانه هذا بعد قوله: (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[٢٧] (الزمر:

---

[٢٣]- سورة .

[٢٤]- سورة .

[٢٥]- سورة .

[٢٦]- سورة .

[٢٧]- سورة .

١ – ٣)"[٢٨].

۞ **بيان المراد بالوسيلة التي أُمِر المسلمون بها، والتي كان يبتغيها عباد الله الصالحون:**

– قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– مُبيِّناً معنى "الوسيلة" التي أمَر الله بها بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٢٩] (المائدة: ٣٥)، والتي كان يبتغيها عبادُ الله الصّالحون، كما قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)[٣٠] (الإسراء: ٥٧):

"التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامّة العلماء مِن:

أنّها التقرّب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة، على وفْق ما جاء به الرسول ﷺ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا؛ لأنّ دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج مِن أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته.

وبهذا التحقيق تعلم:

أنّ ما يزعمه كثير مِن ملاحدة أتباع الجهّال المدَّعين للتّصوّف، مِن أنّ المراد بالوسيلة في الآية: الشّيخ الّذي يكون له واسطة بينه وبين ربّه: أنه تخبُّط في الجهل والعمَى، وضلال مُبين، وتلاعُب بكتاب الله تعالى.

واتّخاذ الوسائط من دون الله: مِن أصول كُفْر الكفّار، كما صرّح به تعالى في قوله عنهم: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى)، وقوله: (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

---

(٢٨) الرد على المنطقيين (ص٥٢٦، ٥٢٧).

٢٩ – سورة .

٣٠ – سورة .

شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[٣١] (يونس: ١٨). **فيجب على كلّ مُكلَّف أنْ يَعلم أنّ الطريق الموصِلة إلى رضا الله وجنَّتِه ورحمته هي: اتِّباع رسوله ﷺ، ومَن حاد عن ذلك فقد ضلَّ سواءَ السَّبيل"**[٣٢].

✿ حكاية العلماء الإجماع على كُفْر مَن دعا الملائكة أو الأنبياء والصالحين، مُتوسِّلا بهم، وتوكّل عليهم في قبول دعائه وحصول مطلوبه:

حُكم مَن دعا غير الله ﷻ، مُتوسِّلًا به إلى الله:

- تقدّم قول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "فمَن جعَل الملائكة والأنبياء وسائطَ يَدعوهم ويتوكّل عليهم، ويَسألهم جلْبَ النَّفع ودفْع المضارّ، مثْل: أنْ يَسألهم غفران الذُّنوب، وهدايةَ القلوب، وتفريجَ الكروب، وسدَّ الفاقات، **فهو كافِر بإجماع المسلمين**"[٣٣].

- **وقال أيضاً رحمه الله:** "وإن أثبتُّم وسائطَ بَيْن الله وبيْن خلْقه كالحُجَّاب الَّذِينَ بَيْن الملِك ورعِيَّتِه، بحيث يكونون هُم يَرْفَعون إلى الله حوائجَ خَلْقه، فالله إنما يَهدي عبادَه ويَرزُقهم بِتوسُّطِهم، فالخَلْق يَسألونَهم وهُم يسألونَ الله كما أنّ الوسائطَ عند الملوك يَسألون الملوك الحوائجَ لِلنَّاس لِقُرْبهم منهم، والناس يسألونهم أدَباً منهم أنْ يُباشروا سؤال المَلِك، أو لأنَّ طلبَهم مِن الوسائط أنْفَعُ لهم مِن طلبِهم مِن المَلِك لِكَوْنِهم أقربَ إلى المَلِك مِن الطالِب لِلحوائج؛ **فمَن أَثْبَتَهم على هذا الوجْه فهو كافِرٌ مُشرك، يَجب أن يُستتاب، فإنْ تاب وإلّا قُتل**"[٣٤].

- **قال شرف الدين موسى الحجاوي، صاحب "الإقناع":**

"فمَن جعل بينه وبين الله وسائطَ يتوكّل عليهم ويَدعوهم ويسألهم، كَفَر إجماعاً؛

---

[٣١] – سورة .

(٣٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٠٣).

(٣٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

(٣٤) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

لأنّ ذلك فعْلُ عابدي الأصنام، قائلين: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[35]"[36].

ومن فوائد هذا النقل: أنه علّل كفْره بكَوْن فِعْله فِعْل عابدي الأصنام مِن مشركي العرب؛ وهذا الذي عليه الأئمة في: أنّ مَن فعَل فعْلَهم مِن الشرك والكفر حُكِم عليه بحكمهم وهو: الكفر.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الناقض الثاني: مَن جعَل بينه وبين الله وسائطَ يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفَر إجماعاً"[37].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله، صاحب "تيسير العزيز الحميد..."، معلِّقاً على كلام شيخ الإسلام السابق: **"وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة مِن الدِّين.** وقد نصّ العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، في باب "حُكم المرتدّ"، على: أنّ مَن أشرك بالله فهو كافر، أي: عبَد مع الله غيره بنوع مِن أنواع العبادة"[38].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله، صاحب كتاب "فتح المجيد": "وأمّا الإجماع، فقد حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقال: "مَن جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم ويتوكّل عليهم، كفَر إجماعاً""[39].

ومعلوم أنّ سبب كفْر هؤلاء: أنّهم دعَوْا غير الله فيما لا يقدر عليه، ولم يُؤذن له به، كفِعل مشركي العرب وغيرهم مِن الأمم السابقة، فصرفوا العبادة -وهي الدّعاء- لغير الله.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- حاكياً إجماع أهل العلم على كفْر مَن

---

(٣٥) سورة الزمر: ٣.

(٣٦) الإقناع (٤/ ٢٨٥).

(٣٧) نواقض الإسلام.

(٣٨) تيسير العزيز الحميد (ص٢٢٩).

(٣٩) الدرر السنية (١١/ ٥٠١).

صرَف عبادة لغير الله، وخروجه من الإسلام، وأنه لا يُشترط لذلك الجحودُ؛ حيث قال رحمه الله:

"... مِن ذلك: عبادته للأصنام أو الأوثان، أو دعْوته الأموات والاستغاثة بهم، وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأنّ هذا يناقض قول "لا إله إلا الله"؛ لأنها تدل على أنّ العبادة حق لله وحده، ومنها: الدعاء والاستغاثة، والركوع والسجود، والذبح والنذر، ونحو ذلك. فمن صرَف منها شيئاً لغير الله مِن الأصنام والأوثان والملائكة والجنّ وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين، فقد أشرك بالله، ولم يُحقّق قول "لا إله إلا الله". **وهذه المسائل كلّها تُخرج مِن الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود**، وأدلّتها معلومة من الكتاب والسنة..."[٤٠].

---

(٤٠) مجموع فتاوى ومقالات (٢/ ٨٣).